تعقيب السيوطي على القاضي البيضاوي

ILHAM SYUKRI

Institut Agama Islam Negeri (IAIN) Bengkulu

Abstrak : As-Suyuti adalah ulama besar yang hidup di abad ke-8 hijriah. Salah satu karyanya yang fenomenal dalam bidang tafsir adalah Hasyiah Tafsir Baidhawi. Di antara Faktor yang menyebabkan As-Suyuti mengkritik Al-Baidhawi adalah karena Al-Baidhawi banyak menukil pendapat Abu Hayyan dalam tafsirnya. Seperti yang kita ketahui Abu Hayyan dan Az-Zamakhsyari berasal dari dua madrasah yang berbeda. Komentar dan kritikan dalam suatu permasalahan bahasa dalam tafsir Al-Quran mengandung sisi positif dan negatif. Diantara sisi positifnya adalah bahwa para ulama tafsir saling melengkapi kekurangan satu sama lain dan ikut andil dalam memberikan penafsiran yang layak untuk Al-Quran. Al- Quran adalah firman Allah Swt yang mengandung mukjizat, diantara mukjizatnya adalah setiap kata–katanya mengandung makna yang banyak dan luas cakupannya walaupun secara zahirnya sama.

Kata kunci: Komentar, As-Suyuti.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي يحكم لا معقِّب لحكمه، سبحانك لا علم لنا إلا ما علَّمتنا إنك أنت العليم الحكيم، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين العاقب المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغُرِّ الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.

فإن أشرف العلومِ والمعارف وأعلاها قدراً علمُ كتاب الله تعالى، فكل علومِ الإسلام تدور حوله، وهي مستقاة من مَعِينِه، غير أن علم التفسير هو أقواها علاقة به، إذ به يَعْرِفُ المقصود من كلام رب العالمين، ولذلك تسابق علماء الإسلام في ميدانه الفسيح، فألَّفوا فيه المُطَوَّلاَت والمُخْتَصَرات، وما بين ذلك.

فقد دَرَجَ العلماءُ على تكميل مصنفات مَنْ سبقهم، إما بالتذييل والاستدراك والتعقيب، وإما ببيان الأوهام ونحوها، على اختلاف مناهجهم في تدوين ذلك،

إيماناً منهم بأن العلمَ رَحِمُ بين أهله، ويقيتاً منهم بخطأِ المَقُوْلَةِ المشهورة: ((لم يَتْرُكِ الأَوَّلُ للآخِر شيئاً)). والصواب ما قاله حبيب بن أَوس الطاَئِي[1].

لا زِلْتَ مِنْ شُكْرِيَ مِنْ حُلَّةِ * لابِسُها ذو سَلَبٍ فاخِرِ**

يَقولُ مَنْ تَقرَعُ أَسماعَهُ * كَمْ تَرَكَ الأَوَّلُ لِلآخِرِ**

ولا لومَ على العلماء في ذلك ولا دَرَكَ، لأن: ((الكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو: كلامُ الله الحكيم، وكلامٌ مَنْ شَهِدَ بعصمته القرآن الكريم، وكلُّ كلام بعد ذلك فله خطأ وصواب، وقِشرٌ ولُباب))[2].

بل هم في ذلك مُصِيبون، ولجادَّةِ أهل العلم مقتَفُوْن، وبلسان حالهم ومقالهم مردِّدون: ((حِراسةُ العلم أَوْلَى مِنْ حراسة العَالم)).

وكان من أبرز هؤلاء العلماء القاضي البيضاوي، والإمام الحافظ جلال الدين السيوطي. وكان السيوطي متأخراً في الزمان عن القاضي البيضاوي، فاطلع على تفسيره اطلاع العالم المجتهد، وعلّق عليه في مواطين كثيرة أقره على بعضها، وتعقبه على بعضها. وكانت تلك التعقيبات تُنَبِئُ عن عارضة قوية وقريحة[3] وهّاجة.

بيان المفهوم اللغوى لمصطلح التعقيبات

1. (عَقَبَ- يعقُبُ – عَقَباً) خَلَفَه وجاءَ بِعَقِبِهِ[4]، وفي المصباح: ((عاقبة كل شيء آخره، وقولهم: جاء في عقبه أصله جاء زيد يطأ عقب عمرو، والمعنى كلما رفع عمرو قدما وضع زيد قدمه مكانها، ثم كثر حتى قيل: جاء عقبه، ثم كثر حتى استعمل بمعنيين، وفيهما معنى الظرفية، أحدهما، المتابعة والموالاة: جاء في عقبه فمعناه في إثره، ومنه سمي المصطفى (ε) العاقب لأنه أعقب من كان قبله من الأنبياء، أي جاء بعدهم، الثاني، إدراك جزء من المذكور معه، يقال: جاء

[1] ((ديوانه)) 161/2.
[2] ((الروض الباسم)) لإبن وزير اليماني 11/1.
[3] ملكة يستطيع بها الإنسان ابتداء الكلام وابداء الرأي.
[4] الفيروز آبادي ((القاموس المحيط))ص 116. عَقَبَ. مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ-2005هـ.

في عقب رمضان، إذا جاء وقد بقي منه بقية، ويقال إذا برىء المريض وبقي شيء من المرض: هو في عقب المرض))[5].

2. التعقيبات جمع تعقيب (لغير المصدر) تعقيب مصدر (عَقَّبَ على) وعَقَّبَه تعقيباً إذا جاء بعده هو الإتيان بشيء إثر شيئ آخر دون مهلة بينهما[6]، يقال عَقَّبَ الفرسُ في عَدوه، فمن ذلك الفاء فتأتي للتعقيب والترتيب بمعنى اقتران حصول المعقب به للمعقب في الزمن مع الترتيب، وذلك هو الأصل فيها، كما قال الشوكاني في ((إرشاد الفحول)): ((فالفاء للتعقيب بإجماع أهل اللغة وإذا وردت لغير تعقيب فذلك لدليل آخر مقترن معناه بمعناها))[7]، وكذا قال البيضاوي في ((المنهاج))[8]، ومثال ذلك قولك: (جاء زيد فمحمد) فالفاء هنا للتعقيب.

3. عَقَّبَ عليه: أي كر ورجع في الأمر كما قال ابن الأثير: ((التعقيب هو أن تعمل عملا ثم تعود فيه))[9]، جاء في التنزيل: [illegible])[10] أى ولم يرجع[11] على عقِبِه ولم يكرر ولم يلتفت وراءه.

4. عَقَّبَ فُلَانٌ: تتبع حقه ليسترده. و(تَعَقَّبَ) عن الخبر: شكّ فيه والسؤال عنه. و(تعقّب) الخبر: تَتَبَّعَهُ. و(تعقّب) فلانٌ رَأْيَهُ: إذا وجد عاقبته إلى خير[12].

5. عَقَّبَ على فلان: نَدَّدَ عليه أو به وبيّن عيوبه وأغلاطه.

6. عَقَّبَ على قوله: أى راجعه وبَيّنَ ما فيه من عيوب أو محاسن، علّق عليه فإما أن ينقضه أو يرد عليه أو يؤيده. وعَقَّبَ على كلام غيره: ناقشه وأبدى رأيه فيه[13].

---

[5] محمد بن على الفيومي المقرئ ((المصباح المنير)) ص 159، كتاب العين: العين مع القاف وما يثلثهما، مكتبة لبنان. 1987م.

[6] كذا قال المناوي في ((التعريفات)) ص 88: التعقيب أن يأتي بشيئ بعد الآخر: يقال: عقب الفرس في عدوه.

[7] الشوكاني ((إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول)) 165/1، دار الفضيلة، الرياض، ط،1، 1421هـ - 2000م. ينظر أيضاً: إمام البيجوري ((تحفة المريد على جوهرة التوحيد)) ص 44. دار السلام، ط، 4، 1429هـ - 2008م.

[8] البيضاوي ((نهاية السول في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول)) 341/1 دار ابن حزم، بيروت ط،1، 1420هـ- 1999م. والزركشي في البرهان 18/4.

[9] ابن الأثير ((النهاية في غريب الحديث و الأثر)) 267/3، باب العين مع القاف، دار إحياء تراث العربي، بيروت،

[10] من سورة القصص، من الآية: 31. ومن سورة النمل، الآية: 10.

[11] ينظر: ((جامع البيان عن تأويل آي القرآن)) تفسير سورة النمل، الآية: 10. 15/18.

[12] ينظر: ((القاموس المحيط)) ص 117. و((لسان العرب)) مادة: عقب. و((تاج العروس))410/3 (عقب).

[13] مجمع اللغة العربية ((المعجم الوسيط)) ص 612، مادة: عَقِبَ، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1426هـ- 2005م.

7.عَقَّبَ القاضي على حكم سَلَفِه: أى أبطله، حكم بغيره ومنه قوله تعالى: [14] أى لا أحد يتعّقبه أي يكر ويبحث عن فعله وقضائه وأحكامه.

8.التَّعْقِيبُ فِي الصَّلاَةِ[15]: الجلوس بعد أن يقضيها لدُّعَاء أو مسالةٍ[16].

9.التَّعْقِيبُ فِي الأَمْرِ: الجِدُّ فِي طَلَبِهِ بِإِلْحَاحٍ.

وجمع الفيروز آبادي بعض معاني التعقيب فقال: ((والتعقيب اصفِرارُ ثَمَرَةِ العَرْفَجِ، وأن تَغْزُوَ ثم تُثَنِّيَ من سَنَتِكَ، والتَرَدُّدُ في طَلَبِ المَجْدِ[17]، والجلوس بعد الصلاة لدعاء، والصلاة بعد التراويح والمكث والالتفات))[18].

ومما سبق يتضح أن كلمة (تعقيب)[19]، تعنى الشيء يأتي بعد الآخر، الرجوع في الأمر، الالتفات، مناقشة أو مراجعة الشيئ تأييداً أو نقداً.

بيان المفهوم الاصطلاحى لمصطلح التعقيبات والمقصود من تعقيبات العلامة السيوطي في حاشيته على القاضي البيضاوي في تفسيره.

وأقصد بـ (المفهوم الاصطلاحى) أى معناه المقصود في هذا البحث بالتحديد، إن المعنى الاصطلاحى للتعقيب مستخدم في التراث الإسلامى بمعنى النقد والرد أو النفى، فدائماً ما يدور هذا اللفظ على ألسنة العلماء[20] حيث يقولون: ((تَعَقَّبَ فلان فلاناً)) أي رد كلامه ولم يرتضه، ولكن في الرسالة سأتوسع في معناه لأدخل ما أضافه السيوطي على أراء البيضاوي - مع إقرار بها - بطريق الإستدراكات لأن

---

[14] من سورة الرعد، من الآية : 41.

[15] جاء في حديث ابن عمر مرفوعاً: ((**مَنْ عَقَّبَ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بُنِيَ لَهُ فِي الْجَنَّةِ قَصْرَانِ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةَ عَامٍ، فِيهِمَا مِنَ الشَّجَرِ مَا لَوْ نَزَلَهَا أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ لأَوْحَلَهُمْ فَاكِهَةً، وَهِيَ صَلاةُ الأَوَّابِينَ، وَهِيَ غَفْلَةُ الْغَافِلِينَ، وَإِنَّ مِنَ الدُّعَاءِ الْمُسْتَجَابِ الَّذِي لا يُرَدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ**)) أخرجه الجرجاني في تاريخ الجرجان 78/1. وذكره في كنز العمال 161/7.

[16] الرازي ((مختار الصحاح)) ص186، باب العين مادة: عَقَبَ، مكتبة لبنان، 1987م.

[17] والصواب: طلبِ مُجْداً، كما في ((لسان العرب)) و((الصحاح)).

[18] ((القاموس المحيط)) مؤسسة الرسالة. ص 117، 118. باب: الباء. فصل: العين.

[19] كذا قال الراغب في ((المفردات في غريب القرآن)) كتاب العين، ص 442- 443، ما ملخصه: أن القرآن الكريم أطلق مادة التعقيب: حول مؤخرة الشيئ، والثواب والعقاب والشيئ يأتى بعد الآخر.

[20] ويستخدم صاحب ((روح المعاني)) مصطلح التعقيب كثيراً ما يرادف ((النقد والإعتراض)) ينظر على سبيل المثال لا حصر: قوله: ((... وتعقبه أبو حيان بأنه بعيد)) ينظر: تفسير سورة آل عمران، الآية: 93. 2/4.

التعقيب أيضاً يطلق على الاستدراك على الكلام بالتقرير والإثبات أو النفي والنقد كما قال الزمخشري: ((وحقيقة التعقيب: إتباع العمل عملاً))[21] ومن هذا المعنى انطلقت هذه الفكرة. والله أعلم.

- توجيه عطف (ثم)[22] من قوله تعالى: 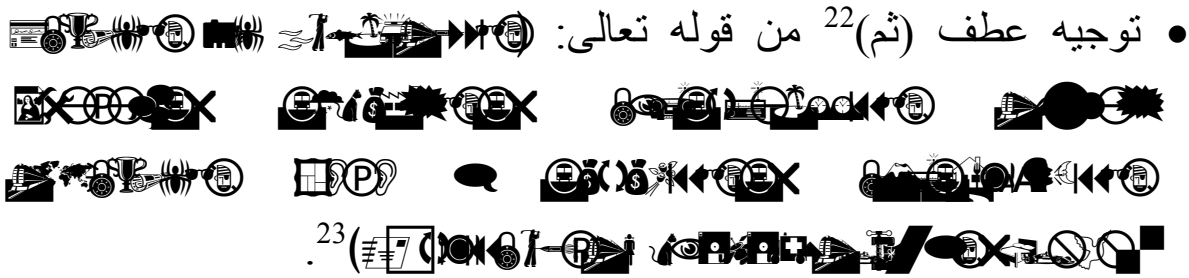 .[23]

1. **تفسير موجز للنص الكريم**

قوله عز وجل: بدأ سبحانه وتعالى هذه السورة بالحمد لنفسه تعليماً لعباده أن يحْمَدوه بهذه الصيغة الجامعة لصنوف التعظيم والتبجيل والكمال وإعلاماً بأنه المستحق لجميع المحامد فلا نِدَّ له ولا شريك، ولا نظير ولا مثيل ومعنى الآية قال الطبري: ((يعني تعالى ذكرُه بقوله: 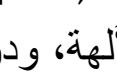): الحمدُ الكاملُ لله وحده لا شريك له دون جميع الأندادِ والآلهة، ودون ما سواه مما تعبده كَفَرةُ خلْقه من الأوثان والأصنام))[24]. 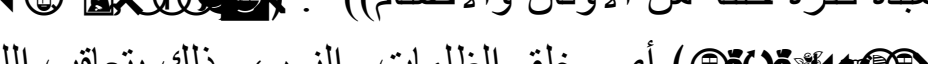 أي وخلق الظلمات والنور، وذلك بتعاقب الليل والنهار لفائدة العوالم بما لا يدخل تحت حصر أو فكر، وجمع الظلمات لأن شعب الضلال متعددة،

---

[21] الزمخشري ((الفائق في غريب الحديث)) 913/4، دار الفكر بيروت، 1414هـ - 1993م.

[22] ثُمَّ: تفيد الترتيب مع التراخي نحو: حضرت للكلية في الصباح ثم عدت لمنزلنا في المساء. يعني أن المعطوف بثم يأتي ترتيبه بعد المعطوف مع التراخي.كقوله تعالى :**ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ]** المؤمنون: 15، 16. وإعرابه: (ثم) حرف عطف وترتيب وتراخ،والمعطوف عليه ما سبق الآية من الجمل المشتملة على أطوار خلق الإنسان، آخرها قوله) :ثم أنشأناه خلقا آخر..) (إنكم) إن حرف توكيد ونصب، وضمير المخاطب في محل نصب اسمإن (بعد) ظرف زمان منصوب على الظرفية، والعامل فيه: ميتون، بعد مضاف واسم الإشارةفي محل جر مضاف إليه، (لميتون) اللام للابتداء مؤكدة، ميتون خبر إن (ثم) حرف عطفوترتيب وتراخ (إنكم) سبق إعرابه (يوم) منصوب على الظرفية، والعامل فيه (تبعثون) يومممضاف والقيامة مضاف إليه (تبعثون) فعل مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعل،والجملة في محل رفع خبر إن] ومعلوم أن البعث متراخ بعد الموت .

وقد أشار ابن مالك إلى معنى كل من الفاء وثم، بقوله:

والْفَاءُ لِلتَّرْتِيبِ بِاتِّصَالِ وثُمَّ لِلتَّرْتِيبِ بِانْفِصَالِ

[23] سورة الأنعام الآية :1.

[24] ابن جرير الطبري ((جامع البيان عن تأويل آي القرآن)) تفسير سورة الأنعام، الآية :1، 144/9. دار هجر، ط1، 1422هـ - 2001م.

ومسالكه متنوعة، وأفرد النور لأن مصدره واحد هو الرحمن منوّر الأكوان قال في التسهيل: ((وفي الآية ردٌّ على المجوس في عبادتهم للنار وغيرها من الأنوار، وقولهم إن الخير من النور والشر من الظلمة، فإن المخلوق لا يكون إلهاً ولا فاعلاً لشيء من الحوادث))[25]. ﴿ ﴾ أي ثم بعد تلك الدلائل الباهرة والبراهين القاطعة على وجود الله ووحدانيته يشرك الكافرون بربهم فيساوون به غيره، تعالى الله عن ذلك، ففي ذلك تعجيب من فعلهم وتوبيخ لهم قال ابن عطية: ((الآية دالة على قبح فعل الكافرين لأن المعنى أن خلقه السموات والأرض وغيرها قد تقرر، وآياته قد سَطَعَتْ، وإنعامه بذلك قد تبيّن، ثم بعد هذا كله قد عدلوا بربهم فهذا كما تقول: يا فلان أعطيتُك وأكرمتُك وأحسنتُ إليك ثم تَشْتِمُني؟ أي بعد مهلة من وقوع هذا كله))[26].

2. **عرض كلام البيضاوي في ((أنوار التنزيل وأسرار التأويل))**

قال البيضاوي: ((﴿ ﴾ عطف على قوله: ﴿ ﴾ على معنى: أن الله سبحانه وتعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد، ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته، ويكون بربهم تنبيهاً على أنه خلق هذه الأشياء أسباباً لتكوُّنهم وتعيشهم، فمِن حقه أن يُحمد عليها ولا يكفَر، أو على قوله﴿ ﴾ على معنى أنه سبحانه وتعالى خلق ما لا يقدر عليه أحد سواه، ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه. ومعنى ﴿ ﴾ استبعاد عدولهم بعد هذا البيان، والباء على الأول متعلقة بـ﴿ ﴾ وصلة ﴿ ﴾ محذوفة أي يعدلون عنه

[25] ابن جزيّ ((التسهيل لعلوم التنزيل)) تفسير سورة الأنعام، الآية :1، 206/1, دار الكتب العلمية، بيروت، ط،1، 1415هـ – 1995م.

[26] ابن عطية ((المحرر الوجيز)) تفسير سورة الأنعام، الآية :1، 266/2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 1، 1422هـ– 2001م.

ليقع الإنكار على نفس الفعل، وعلى الثاني متعلقة بـ (يعدلون) والمعنى أن الكفار يعدلون بربهم الأوثان أي يسوونها به سبحانه وتعالى))[27].

3. **تعقيب السيوطي عليه.**

قال السيوطي: ((قوله: (والباء على الأول متعلقة بـ(كفروا)... إلى آخره) قال الشيخ سعد الدين: هذا تخصيص من غير مخصص لتأتي التقديرين على كل من الوجهين اهـ))[28].

4. تعليق ودراسة.

أجاز البيضاوي[29] كون (الذين) في قوله تعالى: (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) العطف على قوله: (الحمد لله) على معنى أن الله تعالى مستحق بالحمد على ما خلق لأنه خلق ما خلق نعمة للبشر، ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته، وعلى هذا (كفروا) متعلق بـ (يعدلون) فيكون (يعدلون) بمعنى يميلون عنه من العدول، وأجاز (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) العطف على قوله: (خلقكم) على مَعْنَى أن الله - تعالى - قد خلق الأشياء العظيمة التى لا يقدر عليها أحد سواه، ثم إن المشركين بعد ذلك يسوون به جماداً لا يقدر على شىء أصلا، وعلى هذا (كفروا) متعلق بـ (يعدلون) ويكون (يعدلون) من العدل وهو التسوية بين الشيئين، أي: ثم الذين كفروا يسوّون بربهم غيره من المخلوقين.

---

[27] البيضاوي ((أنوار التنزيل وأسرار التأويل)) تفسير سورة الأنعام الآية :1، 294/1، دار صادر، بيروت، ط، 1، 1422هـ– 2001م.

[28] السيوطي ((نواهد الأبكار وشوارد الأفكار)) حاشية تفسير سورة الأنعام الآية: 1، لوحة رقم: 48، مخطوطة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة تحت رقم: 176 تفسير 2967. وص77، تحقيق ودراسة محمد إبراهيم عبد الحليم محمد، رسالة علمية (الدكتورة) جامعة الأزهر الشريف، إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور جمعة على عبد القدير رحمه الله،= 1423هـ – 2001م. وتحقيق ودراسة: أحمد بن عبد الله بن علي الدروبي، رسالة علمية (الدكتورة) جامعة أم القرى، إشراف: فضيلة الدكتور، سليمان الصادق البيرة، 1424هـ – 1425هـ.

[29] وسبقه إليه الزمخشري في ((الكشاف)) تفسير سورة الأنعام، الآية: 1. 321/2.

وعقّب عليه السيوطي نقلا عن شيخ سعد الدين أن التوجيه على الأول (﴿ﭐ﴾) العطف على (﴿ﭐ﴾) يشعر بأن الباء صلة (﴿ﭐ﴾) و(﴿ﭐ﴾) من العدول، على معنى أن الله خليق بالحمد على ما خلق لأنه خلق ما خلق نعمة للبشر ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته، وعلى الثانى (﴿ﭐ﴾) العطف على (﴿ﭐ﴾) الباء صلة (﴿ﭐ﴾) من العدل بمعنى التسوية، على مَعْنَى أن الله - تعالى - قد خلق الأشياء العظيمة التى لا يقدر عليها أحد سواه ثم الذين كفروا يسوّون بربهم غيره من المخلوقين، وهذا تخصيص من غير مخصص لأنه يجوز أن يأتي التقديران على كل من الوجهين ولا حاجة تخصيص وجه استبعاد يأخذ من المتعاطفين (استبعاد العدول عن النعمة واستبعاد التسوية بمن يخلق بمن لا يخلق) لأن استبعاد الإعراض عن الحمد قد يكون على غير النعمة واستبعاد التسوية بمن يخلق قد يكون على غير قادر أن يخلق الأشياء فإنه يجوز إذا قيل مثلا: إنه تعالى مستحق للحمد على هذه النعم الجسام التي لا يقدر عليها أحد، ثم الذين كفروا يسوّون به غيره أو إنه تعالى خلق ما خلق نعمة لهم مما لا يقدر عليه أحد، ثم هم يعدلون عنه ولا يحمدونه.

وفي مثل هذه الحالة بيّن بعض المحققين وجه التخصيص في كل من الوجهين قال الشهاب الخفاجى[30]: ((وجه التخصيص رعاية المناسبة بين ما عطف، بـ (ثم) الاستبعادية وبين ما عطف عليه فإنه إذا قيل، ثم الذين كفروا به يعرضون عن حمده فيكفرون نعمته فإنّ من استحق جميع المحامد من قبل العباد فالإعراض عن حمده في غاية الاستبعاد، ولا يناسب حينئذ أن يقال: ثم الذين كفروا يسوّون به غيره إذ لم يسبق صريحا ما يفيد امتناع التسوية بينه وبين غيره حتى يفيد استبعاد التسوية وكذا إذا قيل إنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه فالمناسب في الاستبعاد أن يقال: ثم الذين كفروا يسوّون به غيره الذي لا يقدر على شيء منه، لا أن يقال ثم الذين كفروا به يعرضون عن حمده انتهى، ولا يخفى اتساق أنّ من استحق جميع

[30] هو أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري، له مصنفات كثيرة من أبرزها: حاشية على تفسير البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي. ينظر: ((الأعلام)) 238/1.

المحامد لإنعامه بالنعم الجسام لا يناسبه أن تكفروا نعمته، ومن خلق هذه المخلوقات العظام لا يسوي به غيره))[31].

وتلاه الآلوسي مؤيداً ما قاله الشهاب الخفاجي: ((بأن وجه تخصيص كل بما خصص به اتساق نظم الآية حينئذ وظهور شدة المناسبة بين ما عطف بـ (ثم) الاستبعادية وبين ما عطف عليه ... إلى أن قال: وقال بعض المحققين: إذا كان المعنى على الأول: الحمد والثناء مستحق للمنعم بهذه النعم الشاملة سائر الأمم فكيف يتأتى من الكفرة والمشركين المستغرقين في بحار إحسانه العدول عنه، وعلى الثاني: المعروف بالقدرة على إيجاد هذه المخلوقات العظام التي دخل فيها كل ما سواه من الخاص والعام كيف يتسنى لهؤلاء الكفرة أو لهؤلاء الجاحدين للنعم أن يسووا به غيره وهم في قبضته، فوجه التخصيص في الأول: أنه لا يخفى استبعاد انصراف العبد عن سيده وولى نعمته إلى سواه بخلاف التسوية فإن المنعم قد يساويه غيره ممن يحسن إلى غيره، وفي الثاني: أن استبعاد التسوية عليه مما لا يكاد يتصور بخلاف العدول عنه فإنه قد يتصور لجهل العادل بحقه وما يليق بحقه فإن العدول لا ينافي عدم المعرفة بخلاف التسوية فإنه لا يسوي بين شيئين لا يعرفهما بوجه ما فتدبر))[32].

ومن هنا يتبيّن وجه التخصيص كل بما خصص به على الأول لأن الحمد بإزاء النعمة، ذلك لأن قوله تعالى () عطف على () و() من العدول والباء متعلقة بـ () على حذف المضاف أى كفروا بنعمة ربهم، وعلى الثانى لأن الشرك بمن يخلق إنما يكون بالتسوية ذلك لأن قوله () عطف على () و() بمعنى التسوية

[31] ((عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)) 11/4، حاشية تفسير سورة الأنعام الآية:1، دار صادر بيروت.
[32] الآلوسي الكبير ((روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى)) 85/7، تفسير سورة الأنعام، الآية: 1، دار إحياء التراث العربي،بيروت.

والباء متعلقة به وعلى الوجه الأخير دل عليه القرآن كقوله تعالى عن الكفار الذين عدلوا به غيره: ﴿[illegible]﴾[33] ومنه قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾[34] أى أن الذين كفروا ساووا بين المخلوق والخالق- قبحهم الله في هذه الآية. وإلى الوجهين ينظر معنى الحديث ((**وعن النبي** (ε) **يقول الله تعالى إني والإِنسُ والجنُ في نبأ عظيم، أخلُقُ ويُعبد غيري، وأرزُقُ ويُشْكَر غيري**))[35].

وقال الطيبى: ((إن الكفر يصح أن يحمل على معنى الشرك تارة وعلى كفران النعمة أخرى وبحسب هذين المعنين يدور معنى (﴿[illegible]﴾) وتعلق الباء، فإذا جعل بمعنى الكفران يجب أن يعطف على (﴿[illegible]﴾) لأن الحمد بإزاء النعمة، وإذا جعل بمعنى الشرك يجب أن يعطف على (﴿[illegible]﴾) لأن كفرهم بتسويتهم الأصنام بخالق السموات والأرض))[36].

وقال المنتجب حسين الهمداني: ((وعدل هنا يحتمل أن يكون متعديا والمفعول محذوف بمعنى يعدلون به غيره مما لا يقدر على خلق شيئ ولا إنشائه أي يسوونه به، يقال عدلت فلاناً بفلان عدولا إذا سويت بينهما، وأن يكون لازماً بمعنى مائلون

---

[33] سورة الشعراء, الآية: 97، 98.

[34] من سورة الرعد، من الآية :16.

[35] وهو حديث ضعيف أخرجه الطبراني في ((مسند الشاميين)) 93/2 - 94، رقم 974- 975. ومن طريقه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) 77/17. وعبد الغني المقدسي في ((التوحيد)) 108. وأخرجه الحاكم في ((تاريخ نيسابور)) كما عزاه إليه في ((الدر المنثور)) 625/7. وأخرجه أيضاً البيهقي في ((شعب الإيمان)) 134/4. والديلمي في ((الفردوس)) 166/3. كلهم من طريق بقية بن الوليد، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، وشريح بن عبيد الحضرميان، عن أبي الدرداء رضي الله عنه. يقول الشيخ الألباني ((ضعيف ... منقطع)) فإن عبد الرحمن بن جبير، وشريح بن عبيد لم يدركا أبا الدرداء، فعلة الحديث الانقطاع انتهى. ((السلسلة الضعيفة)) رقم/2371. وضعفه السيوطي في ((الجامع الصغير)) والمناوي في شرحه ((فيض القدير)) 469/4. ومع ذلك فمعنى الحديث صحيح مقبول، وليس فيه ما ينكر، إلا أنه لا تجوز نسبته للنبي (ε). والله أعلم.

[36] الطيبي ((فتوح الغيب في كشف عن قناع الريب)) حاشية تفسير سورة الأنعام، الآية:1، ص13، دراسة وتحقيق أمجد علي شاه رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، إشراف الدكتور حكمة بشير ياسين.

عنه إلى غيره من قولهم: عدل عن الطريق إذا مال عنها وفي التنزيل ﴿ ﴾[37] فالباء في قوله: ﴿ ﴾ على هذا بمعنى (عن) وهو متعلق بـ ﴿ ﴾، ولك أن تعلقه بـ ﴿ ﴾ على وجه الثاني بمعنى الذين كفروا بوحدانية ربهم مائلون عن الحق))[38].

نخّلص مما سبق إلى أن ما ذهب إليه البيضاوي من توجيه جواز عطف ﴿ ﴾ على ﴿ ﴾ ويكون ﴿ ﴾ متعلق بـ ﴿ ﴾ و﴿ ﴾ بمعنى العدول، وجواز عطف ﴿ ﴾ على ﴿ ﴾ ويكون ﴿ ﴾ متعلق بـ ﴿ ﴾ بمعنى يسوون أدخل وأنسب في كل من الوجهين وهو الحقيق بجزالة النظم الكريم لما فيه من ظهور شدة المناسبة واتساق نظم الآية الظاهر المتبادر أن العدول عنه تعالى والاعراض عن حمده سبحانه في غاية الاستبعاد فيناسب أن يقال: ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه فلا يحمدونه ولا يتلفتون لفتة ولا يناسب أن يقال: إنهم يسوون به غيره إذ لم يسبق صريحا وبالقصد الأولي ما ينفي التسوية وإذا قيل مثلا في الصورة الثانية: إنه جعل شأنه خلق هذه الأجسام العظام مما لا يقدر عليه أحد ناسب في الاستبعاد أن يقال: ثم الذين كفروا يسوون به ما لا يقدر على شيء لا أنهم لا يحمدونه ويعرضون عنه[39]. وبالتالى لأن البيضاوي راعى في وجه الاستبعاد أخذه من المتعاطفين وهو أدخل في كل من الوجهين وأن تعقيب العلامة السيوطي نقلا عن سعد الدين أخذه مما بعده وما قبله ولا يخلو من التعقيد لملاحظة قيود كثيرة ولا يخفى أنه تكلف وتخليط[40]. والله أعلم بالصواب.

المراجع

[37] من سورة المؤمنون من الآية: 74.

[38] المنتجب حسين الهمداني ((الفريد في إعراب القرآن المجيد)) 110/2، دار الثقافة، دوحة، ط،1، 1411هـ – 1991 م.

[39] ((روح المعانى)) تفسير سورة الأنعام، الآية : 1. 85/7.

[40] ((حاشية الشهاب على البيضاوي)) حاشية تفسير سورة الأنعام، الآية:1، 12/4، بنصرف يسير.

أحكام القرآن: أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت 370هـ). تحقيق محمد الصادق قمحاوي. دار إحياء التراث العربي. بيروت، ط1. 1412هـ=1992م.

أحكام القرآن: أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي (ت 543هـ). تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. ط 3، 1424هـ= 2003م.

أحكام القرآن: الكيا الهراسي (ت504هـ). ضبط وتصحيح جماعة من العلماء. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1، 1403هـ=1983م.

الأساس في التفسير: سعيد حوّى. دار السلام. ط1، 1405هـ=1985م.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت 982 هـ). تحقيق الشيخ محمد صبحي حسن حلاق. دار الفكر بيروت. ط 1، 1421 هـ = 2001 م.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ). دار عالم الفوائد. مكة. ط1، 1426هـ.

الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال: احمد بن محمد ابن المنير الاسكندري المالكي (ت683هـ). مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر. 1385هـ=1966م.

أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل المعروف بـ (تفسير البيضاوي): ناصر الدين أبي سعيد عبدالله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت685هـ).

(أ) تقديم: محمود عبد القادر الأرناؤوط. دارصادر. بيروت. ط1، 2001م.

(ب) تحقيق: الشيخ محمد صبحي حسن حلاق ومحمد أحمد الأطرش، دار الرشيد بيروت، ط،1، 1421هـ- 2000م.

بحر العلوم: أبو الليث السمرقندي (ت375هـ). تحقيق وتعليق الشيخ عادل احمد، وعلي محمد وزكريا عبد المجيد. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1413هـ=1993م.

البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت745هـ). دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل احمد، وعلي محمد. دار الكتب العلمية. لبنان. بيروت. ط1، 1413هـ=1993م.

بدائع التفسير: ابن القيم. جمع وتخريج أحاديثه: يسري السيد محمد. دار ابن الجوزي. ط1، 1427هـ.

تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ). شرح الأستاذ السيد أحمد صقر. دار التراث. القاهرة. ط2، 1393هـ = 1973م.

التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت460هـ). تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. 1385هـ=1966م.

التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور (ت1393هـ) الدار التونسية للنشر. 1984م.

التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزيّ (ت741هـ). ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1، 1415هـ=1995م.

تفسير آيات الأحكام: محمد علي السايس وآخرون. اعتنى به محمد فاضلى. دار المدار الإسلامي. لبنان. ط1، 2001م.

تفسير الإمام الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس المطّلبي القرشي (ت204هـ). جمع وتحقيق ودراسة الدكتور أحمد بن مصطفى الفران. دار التدمرية. ط1، 1427هـ= 2006م.

تفسير ابن عرفة: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي (ت 803هـ). تحقيق جلال الأسيوطي. دار الكتب العلمية. ط1، 2008م.

تفسير الإمام مجاهد بن جبر: مجاهد بن جبر (ت102 هـ). تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل. دار الفكر الإسلامي الحديثة. ط1، 1410هـ=1989م.